١٥

سلسلة
قصص الأنبياء
أيوب عليه السلام

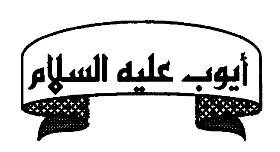
تأليف
الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران
١٥شارع الشيخ محمد عبده
خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

حقوق الطبع محفوظة للناشر

رقم الإيداع ١٨١٩٠ / ٩٩
ترقيم دولي 977-5096-61-8





قال ابن إسحاق راوي السيرة : إن أيوب عليه السلام كان رجلاً من الروم ، وهو أيوب بن موص بن دارح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل .

وقال غيره هو : أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم وقيل : غير ذلك في نسبه .

وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام .

وهو عليه السلام من ذرية إبراهيم كما قال تعالى : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ والضمير في الآيات عائد على إبراهيم دون نوح .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوب ﴾ [النساء : ١٦٣] .

فالصحيح كما قال العلامة ابن كثير إنه من سلالة العيص بن إسحاق وامرأته قيل : اسمها « ليا » بنت يعقوب ، وقيل رحمة

بنت أفرائيم ، وقيل : ليا بنت منسا بن يعقوب، وهذا أشهر .

*** ابتلاء الله لأيوب :**

قال تعالى :

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ(١) وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا(٢) مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ .

[الأنبياء : ٨٣ -٨٤] .

وقال تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ (٣) الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ (٤) وَعَذَابٍ(٥) ﴿٤١﴾ ارْكُضْ(٦) بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ

---

(١) الضر : المرض والمصائب .

(٢) كشفنا : أزلنا .

(٣) وهذه الآية تثبت المس الشيطانى للإنسان .

(٤) نصب : مرض وإرهاق ووهن .

(٥) عذاب : إيلام للحى .

(٦) اركض : خض فى الماء .

(٧) أولى الألباب : أصحاب العقول السليمة .

(٨) ضغثًا : حزمة من أعواد مختلفة الأنواع .

وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(٧) ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا(٨) فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ .

قال علماء التفسير والتاريخ ورواة السير : كان أيوب عليه السلام رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه ، واعلم أن كلمة مال تطلق في اللغة على كل متقوم أي كل ما له قيمة سواء كان إبل أو بقر أو غنم أو ماعز أو ماشية أو ملبس أو مسكن ، وغيرها .

وليس المال فقط مجرد العملة النقدية أو العملة الذهبية ، وكان لدى أيوب من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي بأرض الثنية من أرض حوران ، الشيء الكثير وكان له عدد كثير من الأولاد.

فسلب - أخذ - منه ذلك جميعه ، وابتلى - اختبر - في جسده بأنواع من البلاء - المرض - ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه ، يذكر الله عز وجل بهما ، وهو في ذلك كله صابر محتسب - يطلب الأجر من الله - ذاكر لله تعالى ليل نهار .

وطال مرضه حتى عافه الجليس - نفر منه - وأوحش منه الأنيس - أحس منه بالوحشة - وأخرج من بلده وألقي على مزبلة خارجها ، وانقطع عنه الناس ، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته ، كانت ترعى له ناقة ، وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها .

فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه - ترعاه وتطعمه وتسقيه وتنظفه - وتعينه على قضاء حاجته ، وتقوم بمصلحته ، وضعف حاله وقل مالها حتى كانت تخدم للناس بالأجر ، فتطعمه - رضي الله عنها - وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق الولد والمال ، وما أصابتها من مصيبة في زوجها وضيق ذات اليد - الفقر - وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والجاه وخدمة الناس لها .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل** » وقال : «**يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه** » رواه الدارمي في سننه ، ورواه أحمد ، والحاكم ، والترمذي ، وابن ماجه كلهم بزيادة ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة .

لم يزد هذا كله أيوب عـليه الـسـلام إلا صبـرًا واحـتـسـابًا وحـمدًا وشكرًا حتى إن المثل ما زال يضرب بصبره وبما أصابه من بلاء .

وعن مجـاهد رحمه الله تعالى : كـان أيوب أول من أصابه الجدري .

وكانـت امرأته تفـرش له الرماد لينـام عليـه بعد أن تسـاقط لحمـه فلما طال عليـه البلاء قالت : يـا أيوب ، لو دعوت ربك لفرج عنك ، فقال : قد عشت سبعـين سنة صحيحًا ، فهل كثير لله أن أصبر له سبعين سنة ؟ فجزعت من هذا الكلام - حزنت - وقد اختلف في مـدة بلائه ومرضه بين ثلاث سنين وثمانيـة عشرة سنة .

ثم إن الناس امتنعـوا أن يستخدمـونها ، لعلمهم أنهـا امرأة أيوب ، خوفًا أن ينالهم من بلائه ، فلما لم تجد أحدًا يستخدمها، عمـدت - قصدت - فـباعت لبعض بنات الأشـراف - السادة - إحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير ، فأتت به أيوب ، فقال : من أين لك هذا ؟ وأنكره . فـقالت: خـدمت به أناسًا ، فلمـا كان الغد لم تجد أحدًا فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به فأنكره ، وحلف ألا يأكله حتى تخـبره من أين لها هذا الطعـام ؟ فكشفت

عن رأسها - خمارها - .

فلما رأى رأسها محلوقًا قال في دعائه : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ(١) وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

وروى ابن أبي حاتم بسنده قال : كان لأيوب أخوان فجاءا يومًا فلم يستطيعا أن يدنوا منه - يقتربا - لريحه ، فقاما من بعيد، فقال أحدهما لصاحبه : لو كان الله علم من أيوب خيرًا ما ابتلاه بهذا فجزع من قولهما جزعًا لم يجزع مثله من شيء قط ، فقال : اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعانًا وأنا أعلم مكان جائع فصدقني ، فصدق من السماء ، وهما يسمعان .

ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني . فصدق من السماء وهما يسمعان - أي يسمعان ملكًا في السماء يقول : صدقت يا أيوب - ثم قال : اللهم بعزتك - وخر ساجدًا فقال - : اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدًا حتى تكشف عني ، فما رفع رأسه حتى كشف عنه .

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير الطبري بسنديهما عن أنس بن

مـالك رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ قـال : « **إن نبـي اللـه أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفـضه القريب والبعيد ، إلا رجلين من إخـوانـه كـانا أخص إخـوانه له ، كـانـا يغـدوان إليـه ويروحان ، فـقال أحدهمـا لصاحبه : تعـلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحـد من العالمين ، قال صاحبـه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فـيكشف ما به ، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقول ؟ غيـر أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر علـى الرجلين يتنازعان . فيذكران الله فـأرجع إلى بيتي فأكفر عنهمـا ، كراهية أن يذكر الله إلا في حقه . قال : وكان يخرج في حاجـته ، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع ، فلمـا كان ذات يوم أبطأت عليه ، فأوحى الله إلى أيوب في مـكانه : أن اركض برجلك هذا مـغـتـسل بارد وشراب فاستـبطأته فتلقته تنظر ، وأقبل عليهـا قد أذهب الله ما به من البـلاء ، وهو أحسن ما كـان ، فلما رأته قـالت : إي بارك الله فيك ! هل رأيت نبي الله هذا المبتلى ؟ فـوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشـبه به منك إذ كـان صحـيحًا ، قال : فـإني أنا هو ، وكان له أندران ، أندر للقمح وأندر للشعـير - جرن - فبعث الله سـحابتين ، فلمـا كانت إحـداهمـا على أندر القمح أفـرغت فيـه**

الذهب ، حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورِق - الفضة - حتى فاض » .

وروى ابن أبي حاتم أيضًا بسنده عن ابن عباس قال : وألبسه الله حلة - بدلة - من الجنة فتنحى أيوب وجلس في ناحيته ، وجاءت امرأته فلم تعرفه ، فقالت : يا عبد الله ، أين ذهب هذا المبتلى الذي كان هاهنا ؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب وجعلت تكلمه ساعة ، فقال : ويحك أنا أيوب ، قالت : أتسخر مني يا عبد الله ؟ فقال : ويحك أنا أيوب قد رد الله عليَّ جسدي .

قال ابن عباس : ورد الله عليه ماله وولده بأعيانهم ، ومثلهم معهم .

قال وهب بن منبه : أوحى الله إليه : قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فإن فيه شفاءك ، وقرب عن صحابتك قربانًا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك . رواه ابن أبي حاتم . - عصوني فيك : لم يقوموا بحقك - .

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

قال: « **لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جرادًا من ذهب، فجعل يأخذ منه بيده ويجعل في ثوبه ، قال : فقيل له يا أيوب أما تشبع ؟ قال : يا رب ، ومن يشبع من رحمتك ؟** . ورواه أحمد وابن حبان .

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة : « **أرسل على أيوب رجل - مطر - من جراد من ذهب ، فجعل يقبضها في ثوبه، فقيل : يا أيوب ، ألم يكفك ما أعطيناك ؟ قال : أي رب ، ومن يستغني عن فضلك ؟** » .

وروى الإمام أحمد أيضًا بسنده عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينما أيوب يغتسل عريانًا خرج عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل أيوب يمشي في ثوبه ، فناداه ربه عز وجل، يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال : بلى يا رب ، ولكن لا غنى لي عن بركتك** » . ورواه البخاري أيضًا من حديث عبد الرزاق .

وقوله : ﴿ **ارْكُضْ بِرِجْلِكَ** ﴾ أي اضرب الأرض برجلك، فامتثل ما أمر به - أطاع - فانبع - أجرى - الله له عينًا باردة الماء، وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها ، فأذهب الله

عنه ما كـان يجده من الألم والأذى ، والسـقم والمرض الذي كان في جسـده ظاهـرًا وباطنًا ، وأبدله الـله بعد ذلك كـله صحـة ظاهرة وباطنة ، وجمالاً تامًا ومالاً كثيرًا ، حتى صب له من المال صبًا .

وأخلف الله له أهله ، كمـا قال تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ** ﴾ فقيل أحياهم الله بأعيانهم .

وقيل : آجره فيمن سلف ، وعوضه عنهم في الدنيا بدلهم، وجمع له شمله بهم كلهم في الدار الآخرة .

وقوله : ﴿ **رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا** ﴾ أي رفعنا عنه شدته وكشفنا ما به من ضر رحمة منا به وإحسانًا ﴿ **وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ** ﴾ أي تذكرة لمن ابتلي في جسده أو مالـه أو ولده ، فله أسوة - قدوة ومثل - بنبي الله أيوب ، حـيث ابتلاه الله بما هو أعظـم من ذلك فصـبر واحتسب حتى فرج الله عنه .

وقد روى الضحاك عن ابن عباس قال : رد الله إليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولدًا ذكرًا .

* * *

* عمر أيوب عليه السلام :

عاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية ثم غيروا بعده دين إبراهيم عليه السلام فيكون مجموع عمره ١٥٨ سنة أي غير الناس بعده دين التوحيد الذي هو دين إبراهيم عليه السلام .

* سبب حلف أيوب على امرأته :

قوله : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام ، فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط .

فقيل : حلفه ذلك لبيعها ضفائرها .

وقيل : لأنه عارضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها

دواء لأيوب فأتته فأخبرته أن يشرب الخمر فعرف أنه الشيطان فحلف ليضربنها مائة سوط - كرباج - فلما عافاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغثًا وهو العثكال الذي يجمع الشماريخ ، فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة، ويكون هذا منزلاً منزلة الضرب بمائة سوط فيبر ولا يحنث .

والحنث : أن يخلف الإنسان فيما حلف عليه ولا ينفذه .

وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضي الله عنها .

ولهذا عقب الله الرخصة وعللها بقوله : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ ونعم صيغة مدح وأواب يعني كثير الرجوع إلى الله تعالى من آب : أي رجع .

وقد روى مجاهد : أن الله يحتج يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء ، وبيوسف على الأرقاء ، وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء . رواه ابن عساكر بمعناه . ومجاهد تلميذ ابن عباس .

* وصاية أيوب عليه السلام :

لما حضرت الوفاة أيوب عليه السلام أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب ، وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل ، ومات ذو الكفل فيما يروون وهو ابن خمس وسبعين سنة .

وقد قيل إن الشيطان قال : يا رب إن أيوب يعبدك ويشكرك لأنك أنعمت عليه بالصحة والمال والولد ، ولو سلبت منه ماله لم يعبدك ، فسلطه الله على ماله ، فأتلفه ، فصبر وشكر وحمد الله تعالى ، فقال الشيطان : يا رب لو سلطتني على ولده ما عبدك ولا شكرك ، فسلطه على أولاده فهدم عليهم جدار البيت فماتوا جميعًا فصبر وشكر ، فقال الشيطان : يا رب لو سلطتني على بدن أيوب وصحته لم يعبدك ولم يشكرك ، فسلطه الله على جسده فأصابه البلاء في جسده فصبر وشكر .

* * *



* العبرة من القصة :

في هذه القصة نرى كيف يحقد الشيطان على الناس ولا سيما الصالحين منهم ، وانظر إلى صبر أيوب عليه السلام وكيف أن الله تعالى أثنى عليه ، ووصفه بالصبر والأوبة - الرجوع إليه بالتوبة والاستغفار - وكيف أن الله تعالى رد عليه ماله وولده وعافيته وصب عليه المال صبًا وعوضه بأكثر مما فقده ، وانظر إلى صبر زوجه رحمة ووفائها وقيامها بحق زوجها السنين الطوال ، رحمها الله ورضي عنها .

